# الهدنة في غزة: 15 شهرًا من الفشل الإسرائيلي على كل الجبهات

كتبه ديفيد هيرست | 16 يناير ,2025

ترجمة وتحرير نون بوست

عندما اشتدت الأمور، كان رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو هو أول من تراجع. فطوال عدة أشهر، كان نتنياهو العقبة الرئيسية أمام وقف إطلاق النار في غزة، مما أثار إحباطًا كبيرًا لدى مفاوضيه.

وكان هذا واضحًا بشكل خاص منذ أكثر من شهرين، بعد استقالة وزير دفاعه، يوآف غالانت. وقد صرح غالانت، الذي كان المهندس الرئيسي للحرب التي استمرت 15 شهرًا، بشكل صريح أنه لم يعد هناك ما يمكن للجيش القيام به في غزة.

على الرغم من ذلك، استمر نتنياهو في موقفه. ففي الربيع الماضي، رفض صفقة أبرمتها حماس بحضور مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ويليام بيرنز، مفضلًا شن هجوم على رفح.

وفي الخريف، لجأ نتنياهو إلى "خطة الجنرالات" بحثًا عن مخرج، وهي خطة كانت تهدف إلى إفراغ شمال غزة تمهيدًا لإعادة توطينه من قبل الإسرائيليين. تضمّنت الخطة تجويع وقصف السكان لإجبارهم على مغادرة شمال غزة، مع إعلان أن أي شخص لا يغادر طوعًا سيُعتبر إرهابيًا.

كانت الخطة شديدة التطرف ومخالفة للقوانين الدولية للحرب إلى درجة أن وزير الدفاع السابق موشيه يعالون وصفها بأنها جريمة حرب وتطهير عرقي.

كان الجزء الأساسي في هذه الخطة يتمثل في إنشاء ممر عبر طريق عسكري وسلسلة من النقاط العسكرية التي تقطع وسط قطاع غزة من الحدود الإسرائيلية إلى البحر. كان "ممر نتساريم" سيؤدي إلى تقليص مساحة الأرض في القطاع بمقدار الثلث تقريبًا، ليصبح الحدود الشمالية الجديدة، ولم يكن يُسمح لأي فلسطيني يتم طرده من شمال غزة بالعودة إليه.

# الخطوط الحمراء أُزيلت

لم يُجبر أحد من إدارة بايدن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على إعادة التفكير في خطته. لا الرئيس الأمريكي جو بايدن نفسه، وهو صهيوني بالفطرة، الذي رغم خطاباته العديدة، استمر في تزويد "إسرائيل" بالوسائل التي تمكنها من ارتكاب إبادة جماعية في غزة؛ ولا وزير خارجيته أنتوني بلينكن، الذي اكتسب سمعة مشكوك فيها باعتباره أقل الدبلوماسيين ثقة في المنطقة.

حتى عندما كانت اللمسات الأخيرة توضع على اتفاق وقف إطلاق النار، عقد بلينكن مؤتمرًا صحفيًا وداعيًا ألقي فيه اللوم على حماس لرفضها العروض السابقة. وكما هو معتاد، كان العكس هو الصحيح.

وقد أفاد جميع الصحفيين الإسرائيليين الذين غطوا المفاوضات بأن نتنياهو كان يرفض جميع الصفقات السابقة، وكان هو المسؤول عن التأخير في التوصل إلى هذه الصفقة.

في نهاية المطاف، تم التوصل إلى اتفاق في اجتماع قصير مع المبعوث الخاص للشرق الأوسط في إدارة الرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب، ستيف ويتكوف، لإنهاء حرب نتنياهو التي استمرت 15 شهرًا.

في حروب التحرير، يمكن للضعفاء والمسلحين بشكل محدود أن يحققوا النجاح أمام الاحتمالات العسكرية الساحقة؛ هذه الحروب هي معارك إرادة.

بعد اجتماع واحد، تم محو الخطوط الحمراء التي رسمها نتنياهو وأعاد رسمها بقوة طوال 15 شهرًا.

كما قال المحلل الإسرائيلي أريل سيجال: "نحن أول من يدفع الثمن لانتخاب ترامب. [الصفقة] تُفرض علينا... كنا نظن أننا سنسيطر على شمال غزة، وأنهم سيسمحون لنا بعرقلة المساعدات الإنسانية".

هذا يبدو الآن كإجماع. المزاج العام في "إسرائيل" يشكك في مزاعم النصر. وكتب المحلل العسكري يوسي يهوشواع في موقع "واي نت": "لا حاجة لتجميل الواقع: اتفاق وقف إطلاق النار الناشئ

وصفقة إطلاق الرهائن سيئة لإسرائيل، لكنها لا تملك خيارًا سوى قبولها".

وتنص مسودة اتفاق وقف إطلاق النار المتداولة بوضوح على انسحاب "إسرائيل" من ممر فيلادلفيا وممر نتساريم بحلول نهاية العملية، وهي شروط سبق أن رفضها نتنياهو.

حتى في غياب ذلك، تنص المسودة بشكل واضح على أن الفلسطينيين يمكنهم العودة إلى منازلهم، بما في ذلك في شمال غزة. لقد فشلت محاولة إخلاء المنطقة من سكانها. هذا يُعد أكبر فشل فردي في الغزو البري الإسرائيلي.

# المقاومة

هناك العديد من الأمثلة الأخرى، لكن قبل ذكرها، تكشف كارثة ويتكوف عن مدى اعتماد "إسرائيل" على واشنطن خلال كل يوم من أيام المجازر المروعة في غزة. فقد اعترف مسؤول رفيع في سلاح الجو الإسرائيلي أن الطائرات كانت ستنفد من القنابل في غضون بضعة أشهر لو لم يتم تزويدها بالإمدادات من الولايات المتحدة.

بدأ يتسرب إلى الرأي العام الإسرائيلي أن الحرب تنتهي دون أن تحقق "إسرائيل" أيًا من أهدافها الرئيسية.

بدأ نتنياهو والجيش الإسرائيلي الحرب بهدف "إسقاط" حماس بعد الصدمة والإذلال الناتجين عن الهجوم المفاجئ على جنوب "إسرائيل" في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، لكن من الواضح أنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف.

خذ بيت حانون في شمال غزة كنموذج مصغر للمعركة التي خاضتها حماس ضد القوات الغازية. قبل خمسة عشر شهرًا، كانت أول مدينة في غزة تحتلها القوات الإسرائيلية التي كانت تعتقد أن هذه المدينة تضم أضعف كتائب حماس.

لكن بعد سلسلة من العمليات العسكرية المتتالية التي كان من المفترض أن "تطهر" المدينة من مقاتلي حماس، تبين أن بيت حانون كانت السبب في واحدة من أثقل الخسائر التي تكبدها الجيش الإسرائيلي.

استمرت حماس في الخروج من الأنقاض للقتال، مما حول بيت حانون إلى حقل ألغام للجنود الإسرائيليين. ومنذ بدء العملية العسكرية الأخيرة في شمال غزة، قُتل 55 ضابطًا وجنديًا إسرائيليًا في هذا القطاع، 15 منهم في بيت حانون فقط خلال الأسبوع الماضي.

إذا كان هناك جيش يعاني من النزيف والتعب اليوم، فهو الجيش الإسرائيلي. الحقيقة العسكرية الواضحة في غزة هي أنه، بعد 15 شهرًا، تستطيع حماس أن تتجدد وتعيد بناء صفوفها بسرعة أكبر

من قدرة "إسرائيل" على القضاء على قادتها أو مقاتليها.

وقال أمير أفيفي، وهو عميد متقاعد في الجيش الإسرائيلي، لصحيفة "وول ستريت جورنال": "نحن في وضع حيث وتيرة إعادة بناء حماس لنفسها أعلى من وتيرة القضاء عليها من قبل الجيش". وأضاف أن محمد السنوار، شقيق قائد حماس الشهيد يحيى السنوار، "يدير كل شيء".

إذا كان هناك ما يثبت عبثية قياس النجاح العسكري بناءً فقط على عدد القادة الذين قُتلوا أو الصواريخ التي تم تدميرها، فهو هذا.

## ضد كل التوقعات

في حروب التحرير، يمكن للضعفاء والمسلحين بشكل محدود أن يحققوا النجاح أمام احتمالات عسكرية ساحقة. هذه الحروب هي معارك إرادة، فليس المهم هو المعركة نفسها، بل القدرة على الاستمرار في القتال.

في الجزائر وفيتنام، كان لدى الجيشين الفرنسي والأمريكي تفوق عسكري ساحق. ومع ذلك، انسحبت القوات في كلتا الحالتين بالعار والفشل بعد سنوات طويلة. في فيتنام، وقع الانسحاب بعد أكثر من ست سنوات من هجوم تيت، الذي، مثل هجوم حماس في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، كان يُعتبر حينها فشلًا عسكريًا. لكن رمز المقاومة بعد سنوات من الحصار أثبت أنه كان حاسمًا في سير الحرب.

في فرنسا، لا تزال ندوب حرب الجزائر قائمة حتى يومنا هذا. وفي كل حرب تحرير؛ أثبت تصميم الضعفاء على المقاومة أنه أكثر حسمًا من القوة العسكرية لدى الأقوياء.

في غزة، كان تصميم الشعب الفلسطيني على البقاء على أرضه – حتى حين تحولت هذه الأرض إلى أنقاض – هو العامل الحاسم في هذه الحرب. وهذا إنجاز مذهل، بالنظر إلى أن القطاع الذي تبلغ مساحته 360 كيلومترًا مربعًا كان معزولًا تمامًا عن العالم، بلا حلفاء يمكنهم كسر الحصار، ودون تضاريس طبيعية توفر الحماية.

قاتل حزب الله في الشمال، لكن هذا لم يكن له تأثير كبير على الفلسطينيين في غزة الذين تعرضوا للقصف الليلي والغارات بالطائرات المسيرة التي مزقت خيامهم.

لا التجويع القسري، ولا البرد القارس، ولا الأمراض، ولا الوحشية، ولا الاغتصاب الجماعي على يد الغزاة، تمكنت من كسر إرادتهم للبقاء على أرضهم.

لم يسبق أن أظهر المقاتلون والمدنيون الفلسطينيون هذا المستوى من المقاومة في تاريخ الصراع، وقد يكون لذلك تأثير تحويلي.

لأن ما خسرته "إسرائيل" في حملتها لسحق غزة لا يُحصى. لقد أهدرت عقودًا من الجهود الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية المستمرة لتحقيق هدفها في تقديم نفسها كدولة ليبرالية ديمقراطية غربية في نظر الرأي العالمي.

# الذاكرة الجيلية

لم تخسر "إسرائيل" دعم دول الجنوب العالمي فقط، حيث استثمرت جهودًا كبيرة في إفريقيا وأمريكا الجنوبية، بل فقدت أيضًا دعم جيل جديد في الغرب، جيل لا تمتد ذاكرته إلى الوراء كما يفعل بايدن.

هذه النقطة ليست مجرد وجهة نظري؛ فقد عبّر عنها جاك لو، الذي رشحه بايدن ليكون سفيره لدى "إسرائيل" قبل شهر من هجوم حماس.

ففي مقابلة وداعية مع "تايمز أوف إسرائيل"، قال لو، وهو يهودي أرثوذكسي، إن الرأي العام في الولايات المتحدة لا يزال في الغالب مؤيدًا لإسرائيل، لكنه في طور التغيير.

ومع الثمن الباهظ من الأرواح، تأثرت كل عائلة بالخسارة. ومع ذلك، ما حققته غزة في الأشهر الخمسة عشر الماضية قد يكون له تأثير كبير على مسار الصراع.

قال لو: "ما قلته للناس هنا أنه عندما تنتهي هذه الحرب، عليهم أن يقلقوا بشأن ما سيحدث لأن الذاكرة الجيلية لن تمتد إلى تأسيس الدولة، أو حرب الأيام الستة، أو حرب يوم الغفران، أو حتى إلى الانتفاضة. إنها تبدأ من هذه الحرب، ولا يمكن تجاهل تأثيرها على صانعي السياسات في المستقبل – ليس من يتخذون القرارات اليوم، بل أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و35 و45 عامًا اليوم والذين سيكونون قادة الأعوام الثلاثين أو الأربعين القادمة."

وأضاف لو أن بايدن هو آخر رئيس من جيله الذي تتراوح معرفته وذكرياته إلى "قصة تأسيس" إسرائيل.

انتقاد لو الأخير لنتنياهو موثّق جيدًا في استطلاعات الرأي الأخيرة. أكثر من ثلث المراهقين اليهود الأمريكيين يتعاطفون مع حماس، و42 بالمئة يعتقدون أن "إسرائيل" ترتكب إبادة جماعية في غزة، و66 بالمئة يتعاطفون مع الشعب الفلسطيني بشكل عام.

هذه الظاهرة ليست جديدة. فقد أظهرت استطلاعات رأي أجريت قبل الحرب بعامين أن ربع اليهود الأمريكيين وافقوا على أن "إسرائيل دولة فصل عنصري"، وأغلبية المشاركين لم يعتبروا هذا التصريح معاديًا للسامية.

# الأضرار العميقة

أصبحت الحرب في غزة العدسة التي ينظر من خلالها جيل جديد من قادة العالم المستقبليين إلى الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، مما يشكل خسارة إستراتيجية كبيرة لدولة كانت تعتقد في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 أنها قد أغلقت ملف القضية الفلسطينية وأن الرأي العام العالمي في صفها.

لكن الأضرار أعمق وأبعد من ذلك.

الاحتجاجات المناهضة للحرب، التي أدانتها الحكومات الغربية في البداية باعتبارها معاداة للسامية ثم شُرّعت ضدها كإرهاب، أسست جبهة عالمية لدعم تحرير فلسطين. كما أن حركة مقاطعة "إسرائيل" أصبحت أقوى من أي وقت مضى.

"إسرائيل" الآن في قفص الاتهام أمام العدالة الدولية كما لم يحدث من قبل. فليس هناك فقط أوامر اعتقال بحق نتنياهو وغالانت بتهم جرائم حرب، وقضية إبادة جماعية مستمرة أمام محكمة العدل الدولية، بل هناك العديد من القضايا الأخرى التي ستغمر المحاكم في الديمقراطيات الغربية الكبرى قريبًا.

متظاهرون في باريس يطالبون بوقف إطلاق النار في غزة يوم 8 حزيران/ يونيو2024 (سمير الدومي/وكالة الأنباء الفرنسية).

وفد رفعت دعوى قضائية في المملكة المتحدة ضد شركة "بريتيش بتروليوم" لتزويدها "إسرائيل" بالنفط الخام، الذي يُزعم أنه يستخدمه الجيش الإسرائيلي، عبر خط أنابيب من أذربيجان إلى تركيا.

وفي خطوة أخرى، قرر الجيش الإسرائيلي مؤخرًا إخفاء هويات جميع الجنود الذين شاركوا في الحملة

في غزة، خشية ملاحقتهم أثناء سفرهم إلى الخارج.

هذا التحرك الكبير بدأته مجموعة ناشطة صغيرة تحمل اسم هند رجب، وهي طفلة في السادسة من عمرها قتلتها القوات الإسرائيلية في غزة في كانون الثاني/ يناير 2024. قدمت هذه المجموعة، التي تتخذ من بلجيكا مقرًا لها، أدلة على جرائم حرب إلى المحكمة الجنائية الدولية ضد 1,000 إسرائيلي، بما في ذلك فيديوهات، تسجيلات صوتية، تقارير جنائية، ووثائق أخرى.

لذلك، فإن وقف إطلاق النار في غزة ليس نهاية كابوس فلسطين، بل بداية كابوس "إسرائيل". هذه التحركات القانونية ستزداد زخمًا مع كشف وتوثيق الحقيقة عما حدث في غزة بعد انتهاء الحرب.

# الانقسامات الداخلية

في الداخل، سيعود نتنياهو من الحرب إلى دولة أكثر انقسامًا من أي وقت مضى، فهناك صراع بين الجيش والحريديم الذين يرفضون الخدمة، وهناك صراع بين الصهاينة العلمانيين والدينيين الوطنيين. ومع تراجع نتنياهو عن غزة، يشعر المستوطنون في اليمين المتطرف بأن فرصة إقامة "إسرائيل الكبرى" قد انتُزعت من بين أنياب النصر العسكري. وفي الوقت نفسه، هناك نزوح غير مسبوق لليهود من "إسرائيل".

إقليميًا، تترك "إسرائيل" قواتها في لبنان وسوريا. وسيكون من السذاجة اعتبار هذه العمليات المستمرة وسيلة لاستعادة الردع الذي فقدته "إسرائيل" عندما ضربت حماس في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

قد يكون محور المقاومة الذي تقوده إيران قد تلقى بعض الضربات القوية بعد القضاء على قيادة حزب الله، وبعد تمدده المفرط في سوريا. لكن، مثل حماس، لم يتم القضاء على حزب الله كقوة قتالية.

وقد أثارت غزة والقمع المستمر في الضفة الغربية المحتلة العالم العربي السني كما لم يحدث من قبل.

إن محاولة "إسرائيل" العلنية لتقسيم سوريا إلى كانتونات تُعد استفزازًا للسوريين من جميع الطوائف والأعراق، مثلما تُعتبر خططها لضم المنطقتين "ب" و"ج" من الضفة الغربية تهديدًا وجوديًا للأردن. وسيتم التعامل مع الضم في عمان كعمل حربي.

إن إزالة التصعيد ستكون عملًا صبورًا لعقود من إعادة الإعمار، وترامب ليس رجلًا صبورًا.

ستتراجع حماس وغزة إلى الخلفية الآن. ومع الثمن الهائل في الأرواح، تأثرت كل عائلة بالخسارة. لكن ما حققته غزة في الأشهر الخمسة عشر الماضية يمكن أن يغير الصراع.

لقد أظهرت غزة لجميع الفلسطينيين – وللعالم – أنها تستطيع الصمود أمام حرب شاملة، وعدم

التراجع عن الأرض التي تقف عليها. وتقول للعالم، بفخر مشروع، إن المحتلين ألقوا كل ما لديهم علينا، ولم تحدث نكبة أخرى.

وتقول غزة لـ"إسرائيل" إن الفلسطينيين موجودون، ولن يتم تهدئتهم إلا إذا تحدث الإسرائيليون إليهم على قدم المساواة بشأن الحقوق المتساوية.

قد يستغرق هذا الإدراك سنوات عديدة لينغرس، لكنه بدأ بالفعل عند البعض: "حتى لو احتللنا الشرق الأوسط بأكمله، وحتى لو استسلم لنا الجميع، لن نفوز بهذه الحرب"، كتب يائير أسولين في صحيفة هآرتس.

لكن ما حققه كل من بقي في غزة يحمل أهمية تاريخية.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال : https://www.noonpost.com/286416/